

فنون تشكيلية

سمير الصايغ الطريقتي إلى

أحد الحروفيين الطليعيين في لبنان والعالم العربي. فتح أرشيده لكارما طعمة من Plan BEY. نتيجة هذا التعاون شاهدناها في الصالة الكائنة في مار مخايل تحت عنوان «ما بعد الكتابة: في غياب المعنى وحضور العماني». تخلت الحدث إطلاق أربعة كتب من بينها «شطح الكلمات ومشق الحروف» الذي يستعير جملًا من المعلمين الصوفيين. إلى جانب «ما بعد». و«الدفتن الأزرق». و«الدفتن البني». وبوسترات ومشورات فنية تدور في نيمة تفكيك الكتابة

نيكول يونس

النتائج تدريجاً لأقول له إن وضعها في كتاب موحد ممكن» هكذا تشرح كارما طعمة لـ «الأخبار» كيف بدأت بناء الكتاب الفني (محدود الإصدار) «شطح الكلمات ومشق الحروف». وتضيف أنها عملت لأكثر من سبعة أشهر، لتحاظ على المسار الحقيقي لتكوّن الكتاب الفني هذا. أرادت أن يأخذ الكتاب أكثر ما يمكنه من عناصر الحقيقة والواقع والأحداث التي أسهمت في تكوينه، فحافظت على كل تفاصيل الطريق/المسار بدءاً من الورق الشفاف الفاصل أو الجامع، وهو في الواقع يرمز إلى هذه الكراتين المطوية/الملفات التي كانت تحوي قصاصات الورق. كل فصل مصدره كتاب، وكلها كانت في قلب تلك الكراتين. طبعاً «بتصرف»، فالكراتين كانت أكبر من الأوراق، وكراما عكست المقاييس لتخلق تناسقاً وتتابعاً بين الفصول، وفي الوقت عينه لتحاظ على فكرة الملف الحاوي، وعلى أصل المسار مع تحوير بسيط جداً لضرورة التصميم. ثم اختارت الغلاف من الكرتون السميك مع طباعة حريرية تذكر بالشكل التجريدي الذي كان على أجزاء الكرتون الأساسية. لم تستسلم كارما للصعوبات التقنية، بل طوعتها لتحاظ على خط اليد كما هو. رفضت أن تطبع المقدمة، بل أصرت على سميير أن يكتبها بخط يده ضمن معايير الصفحات المتاحة وتركتها كما كتبها الصايغ بقلم الرصاص من دون تعديل على الإطلاق. هكذا، حافظت على صدق المسار/الطريق بحيث يكون كل شيء مصنوعاً بحرية الصناعة اليدوية رغم اضطرابها بسبب ذلك لإضافة نوع ورق جديد على المعادلة.

تشرح كارما لنا: «لقد كان بناء هذا الكتاب صادقاً إلى درجة أن كل تفصيل فيه كان مأخوذاً فعلاً من الحقيقة. ولم يكن بإمكاننا أن أفعل غير ذلك. للحظات خفت، لأن الكتاب أصبح معقداً جداً، فيه خمسة أنواع ورق وطباعة حريرية وجزء مقصوص في الغلاف وخياطة يدوية! مسار طويل فعلاً. لكن سميير كان مسروراً بالنتيجة وهذا الأهم. لأننا استطعنا أن نحافظ على العفوية التي يبحث عنها ويجبها ولا يمكن أن يجدها في مكان آخر». إذاً هي تقنيات متعددة أغلبها يدوي استخدمتها كارما طعمة للحصول على هذه النتيجة الفنية. ليست هذه الكتب عادية مطبوعة بشكل آلي على ماكينات طباعة بشكل أوتوماتيكي، وليس الموضوع موضوع إبداع في التصميم فحسب، إنما هو نسق آخر من المنشورات ذات الحرفية العالية اسمه «الكتب الفنية».

«أحببت أن أتعاون مع Plan B (كارما وطلوني صفير). يبدأ طوني صفير شهادته لـ «الأخبار» عن تجربة التعاون مع سميير الصايغ، قائلاً: «لقد كان سياق العملية بذاتها هو الأساس والجوهري بالنسبة إلينا لا الغاية (المنشورات الفنية)، فإذا بدأنا مع هدف نهائي هو الغاية بذاتها، يصبح الطريق أو مسار العملية مجرد ممر صوب الهدف. لكن عندما نبدأ بإعادة أو رغبة الاكتشاف على الطريق، فهنا تصبح الأمور هامة ومثمرة بشكل مختلف. مع سميير، وهو بامتياز من الأشخاص المهتمين بالطريق لا الغاية، عدا عن نصوصه وأفكاره، كان المسار غنى مطلقاً بالنسبة إلينا».

«بيت» تراثي في الطابق الأول، وغرف كثيرة ملاءم بالحروف والكتابة والورق. بعضها يتدلى من «مشربية» شرقية في السقف كالمطر، وبعضها يطير إلى الأعلى سابحاً في فلك المكان بحرية مطلقة، تماماً كالحروف التي يخطها سميير الصايغ (1945). أوراق يابانية شفافة تشجع عناق الحروف عبر الصفحات المتقابلة، وأخرى معروضة تحت علب زجاجية على طاولة مربعة بالحجم نفسه كالمخطوطات القديمة، أو الأثر المقدس. ثم هناك غرفة مع نصوص صوفية من مواقف النفري إلى الشيخ الأكبر ابن عربي ثم الجيلي، ملصقة على الحائط مكتوبة بقلم رصاص، بخط يد سميير الصايغ، وكتب... كتب فنية تجمع كنوز الحروف هدية لمقتن متبارك، أو «سالك» أو عاشق، أو معشوق... هي ثمار صداقة وتعاون عتيق/معتنق بين سميير الصايغ، و Plan B (للشريكين كارما طعمة وطلوني صفير).



العالمي هو تراث إنساني، وكل إنسان له حق فيه، وعندما قلنا إنه إذا دخل الإنسان إلى عمق ذاته، يلتقي بالآخر، وعندما قلنا إنه سواء في فن الشعر أو الفلسفة أو العمارة، التصوير، التلوين، النحت، الموسيقى، فالفنان واحد في النهاية».

يقول الصايغ بفرح «سواء كان العمل كبيراً أم صغيراً، كنت أبحث باستمرار عن إمكانيات أو طريق يذهب إليها الخط. عن أماكن يتجلى فيها، يظهر فيها، يأخذها، وتكوّن مجاله. سعيت إلى تحرير الخط أولاً من اللغة، من الجمل الكبيرة، فصرت أخذ كلمة واحدة. لاحقاً، أخذت حرفاً واحداً، والآن في هذه الكتب الصغيرة، أصبحت أخذ زحماً من الحرف، شقفة من الحرف، شكلاً، أو حرفاً جديداً، أو شيئاً يتكوّن، كأن هذه القصة، هذه الريشة، هذا القلم الذي كتب به سكر إلى درجة أنه صار يخلط بين الحروف والأسطر.. وصار يغني بدل أن يقرأ».

من الكتابة وخط يد سميير الصايغ في «شطح الكلمات ومشق الحروف» أولاً حيث النصوص الصوفية التي يستوحى منها وتشكل عالمه الأهم، إلى الحروف التي اشتهر بها في معرضه الأخير في «غاليري أجيال»، وصولاً إلى كتاب «ما بعد» حيث انتقل بالحرف إلى أفق كتابة نص كامل تجريدي. تسر كارما لـ «الأخبار»، بأن الأقسام الثلاثة هذه كانت مقصودة للانتقال بالزوار بين مختلف مراحل سميير الصايغ الحروفية، والذهاب معهم تدريجاً من النص المقروء في «شطح الكلمات

منها مطبوع طباعة حريرية. ثم هذا الكتاب هو الوحيد الذي يحوي نصاً واضحاً، لكنه مختارات. أقوال بسيطة صغيرة لم أكن أخطط لها، بل كانت مساراً حراً. بعضها أنجز بقلم الرصاص، أو بريشة رفيعة جداً، بتلوين أو على الطريقة الصينية عمودياً مثلاً. والواقع أنني كنت أرى كتب المتصوفين، فانتقي منها بعض المختارات وأجلس لكتابتها. فأزيد من معرفتي بهم، أحب ذلك. بهذه الطريقة أحفظهم أكثر، أتألمهم أكثر! جمالياً، أفرح بهم».

هذا تماماً ما تؤكد المقدمة المكتوبة بخط يده: «لم يكن القصد من اختيار هذه الأقوال وكتابتها أو تخطيطها، أن تنضم إلى كتاب أو ملف أو ما يشبه المخطوطة. ذلك أن الاختيار لم يكن يتبع منهجاً واضحاً ولا توجهاً للوصول إلى إضاءة جديدة أو فهم أعمق أو موقف متميز من هؤلاء الصوفيين الكبار ومن مؤلفاتهم. بل كان التوقّف عند هذه الأقوال من باب الإعجاب والانجذاب والاندھاش والحب». يشرح الصايغ لـ «الأخبار»: «الخط فن سام ذو روحانية عالية، أقرب ما يكون إلى التصوف. النظرة الصوفية إلى الإنسان والعالم والدين، هي نظرة منحرفة متقدمة. وهي أقرب شيء للفن، خاصة في وقتنا الحالي المليء بالصراعات، هي تعطينا دافعاً لرؤية المستقبل. هي تنظر إلى الإنسان نظرة توحده، وتوحد الدين، وتوحد العالم. وهذا موجود أيضاً في الحركات الفنية الكبيرة. لقد اقتربنا من ذلك أيضاً عندما اعتبرنا أن التراث الفني

وطوني) لأنهم يصيغون إنتاجاً فنياً، سواء لناحية الملصقات أو الكتب فنية والدفاتر وغيرها. هم يبحثون في كل تفاصيل الموضوع من السورق إلى الحبر والخيط مروراً بالغلاف والتجليد، أي كل شيء في عالم «النشر الفني». تشرّ فيه عودة إلى الحرفية ويعيد عن التقنيات الحديثة القوية في الطباعة والتصوير. وهذا ما أحبه كثيراً، وأمارسه بنفسه في محترفي. أنا أحب أن أكتب على الأوراق الصغيرة، على الدفاتر، ولدي الكثير من الأعمال الصغيرة جداً، خاصة أنني في فترة

النظرة الصوفية إلى الإنسان والعالم والدين، هي نظرة متحررة متقدمة نحتاجها اليوم (س. ص)

ما توجهت إلى الأعمال الكبيرة، فشعرت بحنين بعدها إلى الأعمال التي يمكن أن أسميها «حميمية». يعني أن يستطيع أحدنا أن يتفرّج على الخط أو على عمل في كتاب، في دفتر، في كتّيب، بين أوراق، أن يقربه إليه. أن يحمله بين يديه. أن يقربه عينيه كأنه يقرأ كتاب شعر أو كتاب صلاة». هكذا يصف سميير الصايغ على طريقته «الكتاب الفني»، مضيفاً: «لم أفكر يوماً أن تجمع هذه المختارات في كتاب. اهتمت كارما بالموضوع على طريقته، بشكل حافظ على الجزء اليدوي الحر، فالكتب الفنية هذه فيها صناعة يدوية من حيث الخياطة، والتجليد، والطباعة، وقسم